

كأس الخلاص

القس اسبر عجاج

الطبعة الثالثة

١٩٩٨

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

تقديم الكتاب

الخلاص هو الموضوع الرئيسي في كل الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى الرؤيا.

ففي العهد القديم تنبأ عن يسوع المسيح المخلص الآتي الذي سيفدي البشر بموته على الصليب. وقد لخص النبي أشعيا في نبوته عن المسيح الفدائي بالكلمات التالية: "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيننا" (أشعيا ٥٣) وفي العهد الجديد نرى المخلص الذي أتى في ملء الزمان وتمت فيع نبوات أنبياء العهد القديم كما قال فيليبس لثنائيل: "قد وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة". (يوحنا ١: ٤٥).

وفي سفر أعمال الرسل نجد الرسل يبشرون بموت المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء مؤكدين أنه المسيا الذي تمت فيه النبوات والذي أتم بموته عمل الفداء كما قال بطرس الرسول:

"له يشهد جميع الأنبياء إن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣).

وفي رسائل الرسل كتب الرسل ليعرفوا المؤمنين بحقيقة المسيح وبعمق غنى مجده وبكفاية عمل صليبه وبقدرته الفائقة في تجديد الخطاة التائبين والراجعين إليه.

وفي سفر الرؤيا الذي هو آخر أسفار العهد الجديد ترن أجراس النبوة مرردة ومعلنة أن المسيح الذي مات على الصليب وصعد إلى السماء سيأتي قريباً إلى الأرض بقوة ومجد عظيم كما رآه يوحنا وكتب عنه "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه". (رؤيا ١: ٧).

والكتاب الذي بين يدي القارئ يتحدث عن خلاص الله المعلن في شخص المسيح المخلص. ونحن نقدمه للقارئ العزيز ومعه صلاتنا أن يستخدمه الروح القدس لإقناعه بحقيقة عجزه عن خلاص نفسه وبأن الخلاص مقدم في شخص المسيح الكريم حتى يقبله كل قارئ مخلصاً لنفسه ورباً على حياته وبقبوله يصبح خليفة جديدة ويؤهل للحياة الأبدية.

القس اسبر عجاج

كأس الخلاص أتناول

في المزمور المائة والسادس عشر نقرأ الكلمات "ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي. كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو". (مزمور ١١٦: ١٢ _ ١٤)

ويعجب القارئ من تصرف كاتب المزمور، فهو يسأل: ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟ ويجيب: أخذ كأس الخلاص من يده وباسمه أدعو... وكان الرد على حسنات الله المتعددة هو أخذ أعظم حسناته وهي كأس الخلاص".

وماذا يا ترى يجد من يتناول كأس الخلاص؟

أن كأس الخلاص مملوءة بمزيج من بركات الرب واحساناته.

فيها أولاً بركة الخلاص من عقاب الخطية

وفيها ثانياً بركة الخلاص من قوة الخطية وسلطانها وسيطرتها.

وفيها ثالثاً بركة الخلاص من وجود الخطية وتأصلها فينا وهذا أمر سيتم في المستقبل حين يأتي الرب يسوع المسيح ثانية لاختطاف المؤمنين.

فحين تتناول كأس الخلاص بقبول عمل المسيح النيابي على الصليب بدلاً عنك تخلص أولاً من عقاب الخطية وهذا يعني غفران خطاياك.

والغفران هو البركة التي لو تمتع بها يهوذا لأضحى في مكان بطرس الرسول، ولو حرم منها بطرس الرسول لأضحى في مكان يهوذا.

والغفران يعني أن الله يمحو جميع خطاياك "قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك" (أشعيا ٤٤: ٢٢).

إن الخطية كالغيم تحجب عنا وجه الله، وكسحابة تحرمنا من التمتع بنوره، وعندما يغفر الله خطاياك فهذا يعني بأنه يمحوها لتتري نور وجهه الكريم.

والغفران يعني أن الله يطرح في أعماق البحر جميع خطاياك "يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم" (مicha ٧: ١٩). أي إن الله يخفي خطاياك من الوجود إلى الأبد.. فالشرور التي أزعجت ضميرك، وأقلقت راحتك تغوص في أعماق البحر ولا يراها أحد.

والغفران يعني أن الله يبعد عنك خطاياك كبعد المشرق من المغرب "كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا" (مزمور ١٣: ١٢) هذا يعني أنك لن تتألم من عقدة الذنب، لأن الله يحركك من الإحساس بثقل الخطية وفضاعتها فتعيش حياة خالية من العقد.

والغفران يعني أن الله يغسلك من قدر خطاياك، "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه" (رؤيا ١: ٥) الخطية قدر يحتاج إلى الغسل، ودم المسيح وحده هو الذي يغسلك من قذارة خطاياك.

والغفران يعني أن الله يطهر قلبك من كل خطية "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يوحنا ١: ٩) هل لاحظت ماذا يقول يوحنا. إنه يقول إن الله "أمين" بمعنى أنه يكتفم شرك فلا يذيعه لأحد وهو أيضاً "عادل" لأنه قد دفع أجرة خطاياك بموته النيابي على الصليب. "البار مات لأجل الفجار". فإذا اعترفت بخطاياك لله فلن يسمع بها أحد وعلى أساس دم الصليب يطهرك الله من كل خطية.

"أن سلكننا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١ يوحنا ١: ٧).

أذكر أن دم يسوع المسيح لا يطهرك من بعض خطاياك بل من "كل خطية". فحين تتناول "كأس خلاص الله" تخطى بالغفران، الذي اشتراه لك المسيح بموته، وتفهم كلمات يوحنا الرسول. "أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" (١ يوحنا ٢: ١٢). وهنا يمتلئ قلبك بالفرح والسعادة والسلام لأنه "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية ولا في روحه غش" (مزمور ٣٢: ١ و ٢).

وحين تتناول كأس الخلاص بقبولك المسيح مخلصاً لنفسك وربما على حياتك يحركك الرب من عقاب الخطية. وهذا يعني أنك تولد من جديد، تولد ميلاداً ثانياً. وهذا ما يقرره الرسول بولس بكلماته. "لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً ولكن حين ظهر لطف الله وإحساسه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تيطس ٣: ٣ _ ٦).

لقد ورثت الطبيعة الساقطة من أبيك آدم الساقط والآن عندما تقبل المسيح المخلص يهبك الله طبيعة جديدة بثقتك الكاملة وإيمانك الكامل في شخص المسيح، "لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه". (يوحنا ١: ١٢).

يقول الرب يسوع لنيقوديمس المتدين. "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يوحنا ٣: ٣)، فالروح القدس يهبك الطبيعة الجديدة ويهبك أيضاً القدرة على الحياة المنتصرة.

وحين تتناول كأس الخلاص تتيقن من أن الرب يسوع حين يأتي ثانية سيغير جسدك ليكون على صورة جسد مجده "لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت عدم موت". فعندما نتغير عند مجيء المسيح لا بد أن نتخلص تماماً من وجود الخطية الموروثة فينا من آدم. "لأن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح. الذي سيغير جسد شكل تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" (فيلبي ٢: ٢٠ - ٢١).

لقد جاء المسيح مولوداً من العذراء مريم ليخلصنا بموته النيابي من عقاب الخطية وسلطانها. وسيأتي ثانية ليخلصنا بقدرته من جسد الخطية "هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الخير فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير". (١ كورنثوس ١٥: ٥١ - ٥٢). ثم يقول أيضاً: "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١ يوحنا ٣: ٢).

كيفية تناول كأس الخلاص

أن الخلاص ليس بأعمالك الصالحة... هل يدهشك هذا الكلام؟. أنني أعرف أن عقيدة الكثيرين هي إن الخلاص بالأعمال الصالحة. فالبوذي والكونفوشي، والهندوسي، وأتباع الديانات الإنسانية يعتمدون على أعمالهم الصالحة، ولكنني أريد أن أؤكد لك بأن الخلاص ليس بالأعمال الصالحة، وسأسرد لك الأدلة الكتابية التي تريك بما لا يدع مجالاً للشك أن الخلاص ليس بالأعمال. لأن الأعمال هي ثمار الخلاص وليس أصله.

أولاً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة لأنه خلاص الله:

يقول داود في المزمور "للرب الخلاص" (مزمور ٣: ٨) ويقول في مزمور آخر "رد لي بهجة خلاصك" (مزمور ٥١: ١٢) وليس رد لي بهجة خلاصي، وحين رأى سمعان الشيخ الطفل يسوع "أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك" (لوقا ٢: ٢٨ - ٣٠).

إن هذا الخلاص هو خلاص الله لنا وقد تم في المسيح يسوع، ولذا قال عنه سمعان الشيخ "لأن عيني قد أبصرتا خلاصك" لقد كان يعقوب على فراش الاحتضار نطق بكلماته "خلاصك أنتظرت يا رب". (تكوين ٤٩: ١٨). وما دام الخلاص خلاص الله، فالله لا يبيع خلاصه بثمن لأنه أغلى، وأعظم، وأثمن من أن يشتريه إنسان. فمهما كثرت أعمالك الصالحة فأنت لا تستطيع أن تحصل بها على خلاص الله.

ثانياً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة لأنه بأعمال الناموس لا يستطيع إنسان أن يتبرر قدام الله:

يقول الناموس "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك". (لوقا ١٠: ٢٧). ولكن أين هذا الإنسان الذي يحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قدرته ومن كل فكره؟

تقابل خادم الرب المشهور "ويلبر تشابمان" مع شخص معين وسأله: هل حصلت على الخلاص؟ أجاب ذلك الشخص: نعم، فسأله تشابمان: كيف حصلت على الخلاص؟ أجاب: "أطعت وصايا الله، فأنا لا أقتل ولا أزني ولا أشهد بالزور...". فقال له تشابمان "دعنا نعود إلى الناموس لنقرأ كلماته. "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك". وتوقف تشابمان ثم سأل ذلك الشخص: قل لي بصدق هل تحب الله هذا الحب الذي يملأ قلبك، ونفسك وقدرتك وفكرك؟ أليست هناك ساعات في حياتك يتجه فيها

قلبك وفكرك إلى غير الله؟ وقال ذلك الشخص: يبدو أنني أخطأت حين ظننت أن الناموس يخلصني.

إن ناموس الله يحكم على الإنسان بأنه خاطئ لكنه لا يستطيع أن يبرره. يقول يعقوب الرسول في رسالته "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل. لأن الذي قال لا تزن قال أيضاً لا تقتل فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس". (يعقوب ٢: ١٠ - ١١).

ويقول بولس الرسول "لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (غلاطية ٢: ١٦).

فالناموس كمرآة ترىنا عيوبنا وقذارتنا، ولكنها لا تستطيع أن تزيل عيوننا وتغسل قذارتنا. الناموس كميزان الحرارة الذي يظهر للمريض درجة ارتفاع حرارته ولكنه لا يستطيع أن يخفض درجة الحرارة.

الناموس كالمصباح المنير يرينا الظلمة التي نعيش فيها، ولكنه لا يستطيع أن يقشع الظلام عنا.

الناموس لا يقدر أن يغسل قذرنا، ولا أن يغير عواطفنا، ولا أن ينير سبيلنا. إنه لا يقدر أن يخلصنا، إنه فقط يعرّفنا بأننا خطاة ويتركنا نعوص في طين حماة خطايانا. وهذا ما دونه لنا الرسول بولس بقوله: "لأن بالناموس معرفة الخطية". ثم قال أيضاً: "لم أعرف الخطية إلا بالناموس فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تثتته". (رومية ٧: ٧). فهل رأيت أنه لا خلاص بالناموس، أو بأعمال الناموس؟!

ثالثاً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة لأن الإنسان ساقط بطبيعته ولا يستطيع بقوته أن يفعل صلاحاً:

يقول أرميا النبي "هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه. فأنتم أيضاً لا تقدرون أن تفعلوا خيراً أيها المتعلمون الشر" (أرميا ١٣: ٢٣). هذه الكلمات تنطبق على كل إنسان من دون استثناء... يقول داود في المزمور (٥٣: ٢ - ٣). "الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. كلهم قد ارتدوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد". ...ويقول في مزمور (٦٢: ٩) "إنما باطل بنو آدم كذب بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق. هم باطل أجمعون" ونقرأ في سفر أشعياء الكلمات "وقد صرنا كلنا كنجس وكتوب عدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا" (أشعياء ٥٣: ٦) ويعود داود فيقول "هاأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور ٥١: ٥).

وينطق الرب يسوع بكلماته التي تصور حقيقة قلب الإنسان فيقول "لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان". (مرقس ٧: ٢١ - ٢٣).

قيل إن أحدهم أشتري ذنباً بعد ولادته مباشرة، واختار له شاة من قطيعه لترضعه من لبنها، وكان الذنب الوليد يرضع يومياً من لبن الشاة حتى كبر ولكن وحشيته الفطرية كبرت معه أيضاً. وذات يوم عاد الرجل إلى البيت ووجد الذنب وقد افترس الشاة التي أروضته من لبنها. فنظر الرجل إلى الذنب المقترس وإلى الشاة التي افترسها وقال: أنت ذنب سواء رضعت من لبن أمك أو لبن الشاة. إن الوحشية والافتراس طبيعتك. ثم نطق بهذا البيت شعراً:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي وأنت لثاتنا ولدٌ ربيب

غذيت بدورها وربيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب

ليس في قدرة الإنسان الطبيعي أن يعمل صلاحاً من ذاته، ولذا فإنه لا يمكن أن يخلص بأعماله.

رابعاً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة لأنه هبة مجانية من الله:

يقول الرسول بولس بوحى الروح القدس "بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله". (أفسس ٢: ٨) ... "لأن أجره الخطية موت أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا". (رومية ٦: ٢٣).... "لأننا كنا نحن أيضاً أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس". (تيطس ٣: ٥ - ٥).

هل لاحظت أن الخلاص هبة من لطف الله، من إحسان الله، من رحمة الله، وليس بأعمال بر الإنسان. إن أعمال بر الإنسان هي كخرقة مهلهلة في نظر الله. "قد صرنا كنا كنجس وكتوب عدة (كتوب مهلهل لا يكسو عرياً) كل أعمال برنا" (أشعيا ٦٤: ٦).

يعلن لنا الكتاب المقدس بأن الخلاص يعطى مجاناً لمن يقبل المسيح مخلصاً شخصياً لنفسه "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح". (رومية ٣: ٢٤). "أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا... بلا فضة وبلا ثمن خمرأً ولبناً"

(أشعيا ٥٥ : ١). إن خمر الخلاص ولبن الكلمة المقدسة يعطى مجاناً لمن يقبل المسيح مخلصاً شخصياً.

لذلك كفّ عن مجهوداتك الشخصية واقبل خلاص الله الثمين مجاناً وبلا ثمن لأنه في غنى نعمته دفع الثمن لأجلك على الصليب.

خامساً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة لأنه جاء بترتيب إلهي أزلي وليس بمجهودات الإنسان:

قبل أن يخلق الله الإنسان، وقبل أن يسقط الإنسان، رتب الله في مشورته الأزلية فداء وخلاص الإنسان. فالخلاص هو من تدبير الله قبل الأزمنة الأزلية. "معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله". (أعمال ١٥ : ١٨). وهذا ما دونه لنا بطرس الرسول "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو بذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر في الأزمنة الخيرة من أجلكم". (بطرس ١ : ١٨ _ ١٩).

عندما سقط الإنسان الأول "آدم" وزوجته "حواء". "خاطا لأنفسهما أوراق تين وصنعا لأنفسهما مازر" لكن أوراق التين التي ترمز إلى محاولات الإنسان الفاشلة في ستر عيوبه وخلاص نفسه بأعماله سرعان ما تذبل وتبيس وتسقط لذلك يقول الكتاب "فصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من جلد وألبسهما" (تكوين ٣ : ٢١). وهنا لا بد من أن نسأل ثلاثة أسئلة.

(١) متى صنع الرب الإله أقمصاً الجلد؟

(٢) من أين أتى بالجلد؟

(٣) ما هي الغاية من تغطيتهما بالجلد؟

وإليك الأجوبة التالية:

بعدما أخطأ آدم وحواء بعصيانهما وصية الله يقول الكتاب "بأنهما عرفا أنهما كانا عريانين فصنعا لأنفسهما مازر من أوراق التين". إن أوراق التين ربما تقدر أن تستر عري الإنسان جسدياً ولكن من يقدر أن يستر عري الإنسان روحياً أمام عيني الله الذي "عيناه كلهيب نار" ويعرف أفكار القلب ونياته. يقول النبي أرميا بأن "القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه"... إن الإنسان بطبيعته يحاول بأعماله الصالحة أن يستر عريه الخارجي ويحاول بمجهوداته الشخصية أن يخلص. لكن من يقدر أن يستر عريه الداخلي

الذي ينبع من القلب. إنه يحتاج إلى طبيعة جديدة تقدر أن تغير الإنسان تغييراً جذرياً وتخلقه من جديد. "لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح".

نحن بالطبيعة خطاة وقد ورثنا هذه الطبيعة من أبونا آدم وأما حواء. وصرنا بحاجة إلى طبيعة جديدة وهذه الطبيعة نحصل عليها بالإيمان بالرب يسوع المسيح "لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين به. الذين ولدوا ليس من دم (أي ليست بالوراثة) ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله".

الجواب الثاني وهو من أين أتى بالجلد يا ترى؟ لا بد وأن الله ذبح خروفاً واخذ جلده وصنع لهما مآزر.

ثم نأتي إلى السؤال الثالث وهو ما هي الغاية من تغطيتهما بالجلد.

من هنا يا عزيزي القارئ أتت فكرة الفدية أو الفداء. والفداء معناه الشراء ثانية. نحن نقول باللغة الدارجة "أنا فداك" أي أنا أقدم نفسي بديلاً عنك.

كلنا نذكر قصة إبراهيم عندما امتحنه الله بأن طلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة على جبل المريا. وبعد أن ذهب إبراهيم إلى هناك ووضع ابنه على المذبح ورفع السكين لكي يذبح ابنه ناداه ملاك الرب من السماء قائلاً "إبراهيم إبراهيم. فقال هاأنذا. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً... فرفع إبراهيم عينيه وإذا كبش وراءه ممسك في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش واصعده محرقة عوضاً عن ابنه اسحق". (تكوين ٢٢: ١٠ - ١٣).

لقد مات الكبش عوضاً عن اسحق... وهنا نرى سر الفداء العجيب... فعندما رأى يوحنا المعمدان يسوع مقبلاً. أشار بإصبعه نحوه قائلاً "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم"... نعم. فعندما رفع المسيح على الصليب ومات كان موته فدية عنا. البار مات من أجل الشرار الفجار لكي يصبح الأئمة أبراراً بموته النيابي أو البديلي. لذلك يكتب بولس الرسول "الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا". (أفسس ١: ٧).

إن الكتاب المقدس من أوله إلى آخره يتحدث عن قصة الفداء بالدم. فهاهوذا هايبيل يقدم ذبيحة أفضل من قايين لأن هايبيل كان يعلم من أبوابه أنه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" لذلك قدم من أبقار غنمه ومن سمانها ذبيحة للرب.

كذلك نوح بعد أن خرج من الفلك قدم ذبائح من الحيوانات الطاهرة ومن الطيور الطاهرة. وإبراهيم يقدم كبش الفداء....

وفي يوم الفصح نسمع الملاك يقول. "ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فاري الدم وأعبر عنكم"

وهكذا مات المسيح حمل الله الذي بلا عيب ولا دنس بديلاً عن كل من يأتي إلى المسيح ويحميني به مرناً

كنت مديون العلي خالق الكل.

فقضى ديني الذي مات من أجلي

قد قضى ديني كله الحمل

حينما مات لذا قال قد كمل

نعم لقد أكمل الرب يسوع عملية الفداء بكاملها وهو الان يدعوكم. "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقلين الحمال (بالذنوب والخطايا) وأنا أريحكم".

كتب الرسول بولس إلى تيطس معلناً بأن الخلاص كله من الله إذ قال "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا". (تيطس ٥ : ٣). وكتب كذلك لابنه الحبيب تيموثاوس قائلاً: "الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الان بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل". (٢ تيموثاوس ١ : ٩ _ ١٠). الخلاص إذاً هو من محض تدبير الله. وهو مرتب قبل تأسيس العالم، وقبل الأزمنة الأزلية. وهو قصد الله ومن محض نعمته "لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة". (٢ تيموثاوس ١ : ٩).

وهذه النعمة أعطيت لنا في المسيح "لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبیسوع المسيح صاراً". (يوحنا ١ : ١٧) ثم هذه النعمة المخلصة أظهرت بظهور مخلصنا يسوع المسيح. وهذا ما يقوله الرسول بولس "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح". (تيطس ٢ : ١١ _ ١٣).

فالمسيح بموته الكفاري البديلي على الصليب أبطل الموت بموته وأنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. لهذا السبب جاء المسيح وشاركنا في اللحم والدم لكي يموت على صليب اللعنة وصليب العار لكي يحمل عارنا ويميت بموته سلطان الموت أي إبليس. وهذا

ما قاله كاتب الرسالة إلى العبرانيين "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس". (عبرانيين ٢: ١٤).

يكتب لنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية "وأما الآن فقد ظهر بر الله" (رومية ٣: ٢٣) وكلمة الآن تعلن بأنه كان هناك تدبيراً مسبقاً كان مخفياً ثم "أظهر". ففي يسوع المسيح وموته على صليب الجلجثة ظهر بر الله.

ففي رسالة رومية يعلن لنا بولس الرسول. "بأن الجميع قد زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد".

- في الإصحاح الأول قال الرسول بولس "إن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور وشرور وأثم الأمم" (رومية ١: ١٨)
- وفي الإصحاح الثاني أعلن بولس الرسول أن اليهود أشر من الأمم في تعديهم على ناموس الله (رومية ٢: ١٧ _ ٢٤).
- وفي الإصحاح الثالث أعلن بولس أن الأمم واليهود جميعاً قد زاغوا وفسدوا "لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية ٣: ٢٣) ومعنى ذلك أنهم في الموازين الإلهية نقصوا كثيراً عن متطلبات مجد الله.

العلاج لحالة الإنسانية الساقطة

إن العلاج الوحيد لحالة الإنسان الساقطة هو بر الله الذي ظهر في المسيح يسوع وهذه كلمات بولس الرسول إذ يقول: "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه، لأن بالناموس معرفة الخطية... وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع". (رومية ٣: ٢٠ - ٢٦).

سادساً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة حتى لا يكون هناك مجال لافتخار الإنسان:

لو كان الخلاص بالأعمال الصالحة لاشرته الغني بحسناته وصدقاته، ولحرم منه الفقير والمسكين.

لو كان الخلاص بالأعمال الصالحة، فالإنسان يستطيع الافتخار بأنه استطاع أن يدخل الحياة الأبدية بمجهوده لكن الكتاب المقدس يغلق الطريق أمام كل إنسان يتكل على أعماله الصالحة.... يقول بولس الرسول "بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كي لا يفخر أحد" (أفسس ٢: ٨ - ٩). إذ لا مجال للافتخار بالأعمال الصالحة أمام الله.

إن المسيح له المجد قال لتلاميذه "ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدم سريعاً واتكى. بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمني حتى أكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت. فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به لا أظن. كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطلون. لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا". (لوقا ١٧: ٧ - ١٠).

قد أرانا الرب أن الافتخار الكاذب بالأعمال الصالحة في حضرة الله لا يمكن أن يبرر الإنسان عندما قدم لنا هذا المثل. "وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين هذا المثل. إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الزناة ولا مثل هذا العشار أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه أما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء. بل قرع على صدره قائلاً اللهم ارحمني أنا

الخطيئ. أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذلك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع". (لوقا ١٨ : ٩ _ ١٤).

إن الله يكره المتكبر الذي يفتخر بنفسه. لكن الذي يريد أن يفتخر فليفتخر في الرب.

"هكذا قال الرب لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض لأنني بهذه أسر يقول الرب". (أرميا ٩ : ٢٣ _ ٢٤).

فالافتخار يجب أن يكون بما عمله الرب على الصليب كقول بولس الرسول "وأما من جهتي فحاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح". (غلاطية ٦ : ١٤).

سابعاً: الخلاص ليس بالأعمال الصالحة، لأنه إن استطاع أحد أن يخلص بأعماله الصالحة فالمسيح إذ مات بلا سبب:

إن موت المسيح على الصليب هو إعلان صريح وواضح بأنه لا يستطيع أحد أن يخلص بأعماله الصالحة. قبل الأزمنة الأزلية عرف الله إن الإنسان سيسقط في الخطية بالعصيان. وقبل الأزمنة الأزلية ارتضى يسوع المسيح ابن الله الأزلي أن يقوم بعمل الفداء.

وفي ملء الزمان جاء المسيح "أخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي ٢ : ٧ _ ٨) وبواسطة دم المسيح المسفوك على الصليب ينال كل من يؤمن بيسوع المسيح الغفران. ونصوص العهد الجديد تؤكد هذا الحق. قال بولس الرسول: "الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته" (أفسس ١ : ٧) وقال يوحنا الرسول "أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" (١ يوحنا ٢ : ١٢). وقال بطرس الرسول "وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤ : ١٢).

يا أخي ويا أختي ويا أحبائي لا تتكلوا على أعمالكم الصالحة بل على عمل المسيح الذي أتمه على صليب الجلجثة إذ قد حمل خطايانا في جسده على الصليب. وهذا ما تنبأ عنه أشعيا النبي (قبل موت المسيح بسبعمئة سنة) بقوله: "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفيينا. كلنا كغنم ضللنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا". (أشعيا ٥٣ : ٥ _ ٦)، فتعال إليه الآن واسمع نداءه الصريح للخطاة والمتعبين "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم". (متى ١ : ٢٨).

والآن دعني أقص عليك قصة واقعية عن سيدة تغيرت حياتها حين دخل المسيح قلبها.

كانت هيلين الابنة الوحيدة لرجل غني يملك الملايين، وعندما بدأت تتعرف على الحياة وجدت نفسها تستمتع بكل شيء.... لم تطلب شيئاً من أبيها إلا وأحضره لها، ولم تحلم بشيء إلا وحققه ليفرحها. لقد جاءت إلى العالم وفي فمها كما يقال ملعقة من ذهب.

أنهت هيلين دراستها الجامعية، ولكن خلال دراستها في الجامعة تشعبت بالكثير من الأفكار الإلحادية، وبدأت هذه الأفكار تعبت بعقلها وتتحرف بها بعيداً حتى وصلت بها أخيراً إلى إنكار وجود الله.

من هذا المنطلق بدأت حياتها تتدهور، وكان أول ما فعلته أنها تمردت على إرادة أبيها وتزوجت من شاب لا أخلاق له. رغم معارضة أبوها على هذا الزواج. ولم يستمر زواجها من هذا الشاب طويلاً إذ طلقته، وتزوجت للمرة الثانية ثم الثالثة، ثم للمرة الرابعة. وقادها هذا الفشل في زيجاتها المتكررة إلى الخمر، والمخدرات ظانة أنها بهذا تستطيع أن تغرق فشلها وخيبة آمالها في ملذات وقتية ومدمرة.

لكن الخمر لم تعالج همومها وفشلها وعقلها المضطرب ونفسها الحائرة والمخدرات التي كانت تتناولها كانت تعطيها إحساساً كاذباً بالفرح إلى حين، فإذا أفاقت من أحلامها الوقتية وجدت التعاسة تربض داخل قلبها لتجد نفسها مرة أخرى تطلب المزيد من المخدرات وهكذا دو اليك.

اهتزت شخصيتها وتدهورت حياتها واضطرب عقلها أكثر وأكثر وفقدت كل مقومات حياتها. لقد ظنت هيلين أنها ستجد سعادة نفسها وراحة قلبها في إنكار وجود الله، وفكرت أن الإغراق في الملذات وتعاطي المخدرات سيشبعها ويروي ظمأ نفسها الضائعة، لكنها على العكس وجدت أن البحث عن السعادة في كل الأمور يفضي بها إلى طريق مسدود.

وقررت هيلين الانتحار، لتتخلص نهائياً من الحياة. فلا ملايين أبيها ولا الخمر المعتقد ولا المخدرات استطاعت أن تهبها سلام القلب وفرح النفس وطمأنينة الحياة. جلست وحدها تراجع حياتها، ملايين أبيها كلها تحت أمرها، لكن المال لم يشبعها.

زيجاتها الأربعة لم تمنحها السعادة...

الخمر والمخدرات تركت تأثيراً عميقاً على شخصيتها وهزت كل قيم الحياة أمامها. لم يبق للخروج من تعاستها وحيرتها واضطرابها إلا باب الانتحار. وقررت أن تتحرف على أن يبدو انتحارها موتاً طبيعياً.

لكن كيف؟

هل تركب سفينة وتلقي بنفسها في اليم في غفلة من الناس فيحسب موتها حادثاً مؤسفاً؟! هل تنقطع تماماً عن الطعام عدة أيام؟

هل تتناول كمية كبيرة من المخدر؟

ودق جرس التلفون.

كانت التي تتكلم من الجانب الآخر صديقة شاركتها الكثير من مجونها، لكنها تعرفت بالمسيح الذي غير حياتها تماماً، وفكرت بعد أن اختبرت قوة المسيح في تغيير الحياة أن تقدم المسيح لصديقتها هيلين وطلبت منها موعداً للقاء دون أن تخبرها عن قصدها.

أعطتها هيلين موعداً، وذهبت "كارولين" لزيارة هيلين وما كادت تراها حتى أدركت مدى بأسها وفداحة الخطر الذي يحيط بها. ولم تضع كارولين وقتاً في حديث فارغ بل بدأت على الفور في تنفيذ هدفها الأساسي. قالت كارولين: "هيلين أنت تعرفين أنني شاركتك في كثير من المجون. سكرنا معاً ورقصنا معنا في اللاهي مع شبان كثيرين حتى تدهورت حياتنا ووصلنا إلى الحضيض وأنكرنا وجود الله لكنني سمعت عن يسوع المسيح يا هيلين في يوم كنت أشعر فيه بالضيق والتعاسة والشقاء. قرأت لي صديقة تعرف بالمسيح، واختبرت قوته، كلمات المسيح في انجيل يوحنا "الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية.. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يوحنا ٨: ٣٤ و ٣٦).

أنا أعرف أن الخطية تستعبدني فعلاً فأنا لم أعد حرة في ميولي. الخطية كانت تحرك في شهواتي الجسدية تعبت بي في ميولي المنحرفة تتسلط علي حتى احتقرت نفسي. وكنت أعرف أن عبوديتي للخطية هي سبب شقائي وتعاستي فمن لي بمن يحررني من سلطة وسيادة الخطية على حياتي؟ وتجسدت أمامي كلمات يسوع "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً". هو إذاً القادر أن يحررني. هو إذاً المخلص العظيم. وقرأت أيضاً لي صديقتي نبوة عن المسيح من أشعيا النبي "روح السيد الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلوب لأنادي للمسيبين بالعنق وللمأسورين بالإطلاق". (أشعيا ٦١: ١) وقالت لي صديقتي المؤمنة إن كل ما عليّ أن أعترف للرب بخطاياي، وأفتح للمسيح قلبي ليدخل هذا القلب المسكين ويغير حياتي. قرأت لي صديقتي كلماته الحلوة "هاأنذا واقف على الباب وأقرع إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" (رؤيا ٣: ٢٠) وفعلت يا هيلين كما قالت لي صديقتي فتحت للمسيح باب قلبي وقلت له ترنيمه علمتني إياها صديقتي.

ادخل قلبي ادخل قلبي ادخل قلبي يا ربي

تعال اليوم بالحب وادخلن قلبي يا ربي

ودخل المسيح قلبي بالإيمان..... وغير حياتي..... حررتني من أثامي وخطاياي... وغفر جميع ذنوبي.

امتألت فرحاً وسلاماً وبهجةً.

هذا هو الحل الصحيح لمشاكلك يا هيلين.

أصغت "هيلين" بكل اهتمام... كانت كالغريق البائس يبحث عن خشبة يتعلق بها تنقذه من الغرق. وبدموع غزيرة ركعت هيلين في محضر الرب وقبل أن تنطق بكلمة التفتت إلى كارولين وقالت: ولكنني أنكرت وجود الله. وأجابتها كارولين هذا كان من فرط جهلك، كنت أنا أيضاً مثلك، كنت جاهلة لأنه "قال الجاهل في قلبه ليس إله". (مزمور ٥٣: ١) لكنك إذا عزمت على التوبة الصادقة عن خطاياك، واعترفت لله بأثامك، وفتحت ليسوع المسيح قلبك فإنه يتغاضى عن أيام جهلك. "فالله يأمر الآن أن جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل" (أعمال ١٧: ٣٠).

رفعت هيلين صوتها معترفة بخطاياها وشرها وفساد قلبها وطلبت من الرب يسوع أن يدخل قلبها.

دخل المسيح بالإيمان قلبها. وصارت بدخوله إلى قلبها ابنة لله. "لأن كل الذين قبلوه، أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يوحنا ١: ١٢ _ ١٣).

صارت هيلين خليفة جديدة. "لأنه إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً" (كورنثوس ٥: ١٧).

مع حلول المسيح بالإيمان في قلب هيلين ملاً الفرح السماوي قلبها، وتغيرت نظرتها للحياة، وتابت تماماً عن أثامها وهي الآن تعيش في إحدى مدن ولاية كاليفورنيا وقد خصصت حياتها وبيتها وما لها للمناداة برسالة الإنجيل لتجد النفوس اليائسة المكبلية بقيود الخطية في المسيح ما وجدته هي من الحرية وفيض البهجة والفرح والسلام.

هل تناولت كأس خلاص الله؟

هل دخل المسيح قلبك؟

هل تيفنت تماماً من غفران خطاياك؟

هل اسمك مكتوب في سفر الحياة؟

افتح للمسيح قلبك اليوم

لأنه "هوذا الان وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص" (٢ كورنثوس ٥ : ٢)

قد يقول قائل: هل يعني أن العمال الصالحة لا مكان لها في حياة المؤمن بالمسيح؟

ونجيب يقيناً لا... إن للأعمال الصالحة مكانها الجوهري في حياة المؤمن فهي الثمر الذي يجب أن يظهر في حياته بعد تجديده كما يقول بولس الرسول "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أفسس ٢ : ١٠)

بعد أن قال بولس الرسول "بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم بل هو عطية الله ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أفسس ٢ : ٨ و ٩)، قال أيضاً لأننا "مخلوقين لأعمال صالحة" فالخلاص وإن كان من مجرد نعمة الله، وليس بالأعمال الصالحة، لكنه يثمر في حياة المؤمن بالمسيح أعمالاً صالحة قد سبق الله فأعدها ليسلك المؤمن فيها. وقد قرر بولس هذا الحق بكلماته "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة". (غلاطية ٥ : ٦).

فالإيمان الحي هو الإيمان العامل.

الإيمان الحي هو الإيمان المثمر.

إنه الإيمان العامل بالمحبة. فالمحبة للمسيح هي الدافع الرئيسي للأعمال الصالحة. إنه ليس مجرد معرفة عقلية، ولا مجرد عقيدة ورثناها عن الآباء... لكنه اختبار شخصي حقيقي يختبره الشخص الذي يقبل الرب يسوع المسيح مخلصاً لنفسه.

لذلك كتب أحدهم الترنيمة الحلوة المعبرة عن هذه الحقيقة فقال:

صالح الأعمال ذا ثمر الإيمان

لازم لكنه ما به غفران

فيا صديقي الحبيب تعال إلى المسيح ... افتح له قلبك وستتغير بقوله كل اتجاهات حياتك.

الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل